و هو آخر الكل و الجامع للكل في ظاهره من حيث عالم الظواهر و في باطنه عالم البواطن كما قيل في
ذلك • يا آخر الكل قيل الكل مندرج • و قولي الكل كاف ان تكن فطنا قال المؤلف
و هو شيخ محي الدين رضي الله عنه ثم اوجد اي خلق الله تعالى ايضا من
تمام النعمة على الانسان و اكمال النسخة الانسانية و على الاستقامة في النشاة
و الاستيفا فيما أمر به من المجاهدة في الله تعالى كما قال و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا في هذه المملكة الانسانية اميرا اي سلطانا قويا في تصرفه مطاعا في امره
و نهيه كثير الرجل و الخيل اي المشاة و الركبان و في بعض النسخ الوحل و الخول
بالحاء المهملة في الاول و الخاء المعجمة في الثانية و على النسختين المعنى واحد اي كثير الجند
و الجماعات قوي العدد بضم العين اي الاسلحة و العدد بفتح العين اي الكثرة و هو
مظهر الجلال و الضلال منازعا لهذه الخليفة المذكور في مملكته سماه الله تعالى
الهوى و هو كل ما تميل اليه النفوس مما هو سوى الله تعالى مما يوافق رايها و حالها
و جعل تعالى وزيرا له اي للهوى يدبره في امره سماه تعالى الشهوة فيرز اي الخليفة يعني
تخرج يوما من قصره الذي هو القلب كما تقدم ذكره الى منتزهه الذي هو الدماغ في اجتياده
اي اكابر دولته و خدامه و خوله اي خواصه و اصدقايه ليتنزه في رياض بساتينه
الذين هم في راضي القوة المصورة و القوة المفكرة و القوة الحافظة و هي المعبر عنها بالخزائن
فيما سبق • و لا يدخل الى تلك الرياض و يطلع على تلك البساتين و الاماكن الا الروح المجرد و قد
دخلنا اليها و مشينا في اراضيها و تكلمنا مع اهلها فوجدنا فيها علوما لا يعلمها عدتها الا الله تعالى
و هي مسافة ثلاثمائة عام فاكثر يذهب اليها الانسان و يعود في لحظة واحدة لا هي في السموات و لا في
الارض و لا هي خارجة عنهم فافهم ذلك يا ايها الفطن ان كنت من اهل الذوق • و هذا وارد
بنا في هذا المحل عند ذكر خروج الخليفة الى منتزهه • و جنوده و خوله هم العقل و الايمان و العلم
و الذكر و الزهد و الثقة بالله و اليقين • و الندم على مخالفة الله و الاستغفار و التهجد بالليل
و البكا من خشية الله و اليقظة من الغفلة و غض البصر عن محارم الله و الشكر على نعم الله و التسليم
لامر الله و مع كل واحد من هذه الجنود المذكورة جماعة من جنسه تابعون له فيما هو فيه من اعمال الخير
و احوال الكمال فبينما الخليفة منزه في رياضه منشرح مع جماعته و خلانه ثابت في حكمه و جنوده مرجوع
مطيعوه لامره و نهيه يعبدون الواحد الحق و يقسمون بين العدل بين الخلق و اذا بغبار الباطل
قد على و بان من البعد و التجلى فاقبل العدو و ما بين راجل و راكب كما قال تعالى و اجلب عليهم بخيلك
و رجلك فنزل الهوى عن يمين المدينة فنصب خيامه و رفع اعلامه و نبشت اعوانه في خدمته و هم
الحسد و التجبر و التكبر و الغل و المكر و الحقد و الغدر و الوسوسة و الشرك و المخالفة
و الحرص و الميل الى الباطل و الشهوة و الزيغ و القسوة و الشح و الرغبة في الدنيا و الامل و الطمع
و التفاخر و الريا و البطر و اللهو و اللعب و نزل بليس للعين و هو وزير الهوى عن شمال المدينة
فنصب خيامه و رفع اعلامه و نبشت اعوانه في خدمته و هم الكفر بالله و النفاق و الشك
في قدرة الحق و الظلم و الخيانة و بغض الحق و ترك الامانة و اتباع البدع و جحود الفرايض
و التهاون في امر الله تعالى و الرغبة عن سنة الرسول عليه السلام الى غير ذلك من الاخلاق الذميمة
و الاجناد الخبيثة فاشرقت النفس التي هي حرة هذا الخليفة اي تطلعت من
طاقات ذلك المنتزه عليه على الهوى فنظرا اي راته و راها و نظر كل واحد منهما
الى صاحبه فعشقها الهوى اي مال مكرمته الى النفس التي هي حرة الخليفة و اوهمها انه
يحبها فاعمل اي نصب لها شرك الحيلة في طلب الاجتماع بها اي ليقتصها بذلك فما زال اي
الهوى يستنزلها اي يرغبها للنفس بالاطماع الكاذبة و الامال الباطلة و يبسط عطفها
بالشهوات الفانية و الزينة الزايلة و يبسط لها حضرته ان يخفض لها جناحه و يتنزل
لها بالمواعدة و يهادي لها باحسن ما عنده من غرور الفانيات كما قال تعالى و ما يعدهم الشيطان
الا غرورا و يبدي لها من زينته فتغتر بذلك و تظن ان الامر كذلك و لم تزل رسل الامانى و سفراء
الغرور تمشي اي تتردد بينهما بالغواية و الافساد حتى مالت النفس يعني التفتت
اليه اي الى الهوى طامعة فيما وعدها من المفاخر العاجلة و الشهوات الفانية فانقادت له
و ادبرت عن الخليفة و ملكها الهوى بالاحسان اي استرقها الهوى باحسانه اليها و هو الذي
خيل لها من الامانة و الغرور فظنت شيا حسنا تنالة من قبل الهوى و لم تعلم مكره بها
فطمعت فيه و اركنت اليه ففسقت عن امر ربها و ارتدت عن الهدى الى الضلال و وقعت
في شرك الغرور و الآمال كل ذلك و الخليفة غافل عن هذا الامر الواقع في شان حرمته
و لم يشعر به و العقل الذي هو وزيره اي وزير الخليفة قد شعر بذلك الامر الواقع
بين النفس و الهوى و هو اي العقل يسوس الامر اي يدبره و يداريه بالتي هي احسن و يخفيه
ما امكنه عسى اي ليلا يشعر اي يدري بذلك الخليفة فيتدارك الامر و يقيم الحرب
على النفس باجبارها عن بطلان ما عليه الهوى و غروره فيما لا شي فترجع اي النفس
عما هي عليه من اطاعة الهوى و العقل لا يريد رجوع النفس عن اطاعة الهوى لانه بين
العقل و الهوى مناسبة من وجه و هو نزولها الى ارض الغيرة فللعقل نوع ميل الى الهوى
من هذا الوجه و قد خان العقل الخليفة في هذه المسئلة • فتحرك لذلك و غار على ما هنالك
فساءت النفس و اقعت بينهما اي ملكين قوين مطاعين و هما الخليفة الروحانية
و الهوى الشيطاني هذا ينادي اي يجذبها لطاعته و هذا ينادي لها لطاعته و قد وقعت
بينهما في حيرة عظيمة و وقع الحرب بينهما من اجلها و الكل اي كل شي صادر او يصدر بين
الهوى و النفس و الروح واقع باذن او بتقدير الله تعالى و مشيئته كما قال عز و جل قل كل من
عند الله لانه تعالى ذو الجلال و الجمال و الهدى و الضلال فما كان من خير و نفع و تقى فهو من سمه

Copyright © Cairo University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)